

## مسيرة كفاح حافلة في «خدمة الإنسان... كل إنسان» نعمت كنعان: المرأة هي المسؤولة عن تقدمها والشعب هو الذي يحدث التغيير

مسيرة كفاح حافلة في ميدان العمل الإجتماعي على أنواعه، عقود من العمل المضني في أحلك ظروف الحرب، شغف لا يحدّ بخدمة الوطن والإنسان توجّها لقب سيّدة الحقل الإداري العام بامتياز، يوم كانت معظم «السيدات» يكتفين بحقل خدمة البيت والعائلة، تعبت، حُدّت، ووصلت إلى حيث يصل القليلون، بل النادرون من يتفانون في عملهم ويقدرّون الإنسان، كل إنسان... إنها أول مديرة عامّة في الدولة اللبنانية السيّدة نعمت كنعان.

فأين هي اليوم بعد عمر من العطاء والنضال بكلّ تفان ومحبة؟

على هذا السؤال جيب: «الآن عدت إلى نفسي: إذ أنني بدأت العمل قبل تخرّجي من الجامعة، وحتى قبل دخولي إليها! فحاليّ أنا أفعل كل ما كنت أشتهي فعله ولم يكن لديّ الوقت الكافي في السابق لفعله...»



دخلت كنعان ميدان الإدارة من باب علم النفس وعلم التربية والإجتماع. وعن تلك البدايات تقول: «عندما دخلت الإدارة وتدرّجت فيها كان هذا جديداً على المرأة التي لم تكن موجودة إلا في بعض الوظائف الدنيا كعامله هاتف أو مستكتبة... ولذلك فإنّ الشهادات التي حصلت عليها في مجال التربية وعلم النفس وعلم الإجتماع ساعدتني في حياتي الوظيفية على فرض نفسي وإظهار كفاءتي، وأيضاً على التواصل بشكل سلس مع زملائي من الجنسين وعلى التعامل مع كافة فئات المجتمع. وأهمّ من كلّ ذلك، فقد ساعدتني هذه التخصصات على كيفية التخطيط للنهوض بالعمل الإجتماعي، خصوصاً بعد ما استلمت إدارة وزارة الشؤون الإجتماعية، كما عزّزت لديّ موهبة ابتكار المشاريع والحلول للمشاكل الإجتماعية، إذ أنّ العمل الإجتماعي ليس عملاً حسابياً له حلّ واحد ونتيجة واحدة.»

### صعوبات وأخطار

وفي ما يتعلّق بصعوبات تلك المرحلة تؤكد كنعان: «الصعوبات التي واجهتها كان يمكن أن تواجه أي امرأة أخرى في مكاني. أمّا أسباب هذه الصعوبات فمنها موضوعية ومنها شخصية. من الأسباب الموضوعية أنني كنت امرأة تملك القرار حيث هي، وهذا كان غريباً بعض الشيء يومذاك. ومن ناحية شخصية، لم أكن أريد أن أفشل لكي لا يرتد فشلي على غيري من النساء في الإدارات العامة. وبالتالي إلى نتائج هذا الكفاح، أهمها أنني كنت أول امرأة تتولّى مهام مدير عام في الدولة، وأثبتت أنّ المرأة يمكن أن تنجح في الحقل العام كما الرجل.»

لطالما ناضلت نعمت كنعان في سبيل الإنسان بشكل عام، فماذا حققت وإلى ماذا تطمح بعد؟

حول هذا الموضوع تقول: «نعم ناضلت في سبيل الإنسان، كل إنسان... أي المرأة والرجل والطفل وكبار السن وذوي الإحتياجات الخاصة... فقد

اجتهدت في إنشاء لجان وطنية متخصصة (كالجلس الأعلى للطفولة، واللجنة الوطنية للسكان، واللجنة الوطنية لكبار السن، والهيئة الوطنية لشؤون المعوقين، واللجنة الوطنية لحو الأمية، إلخ...). كما اشتغلت على تطوير التشريع المتعلّق بتأمين حقوق المعوقين (القانون رقم ٢٠٠٠/٢٢٠)، وساهمت في تحضير الإتفاقيات الدولية لتأمين حقوق المعوقين عندما ترأست الوفد اللبناني إلى مقرّ الأمم المتحدة في نيويورك حيث تمّ وضع هذه الإتفاقيات.

أمّا الآن، وبعد أن أصبحت خارج الوظيفة، فليس لديّ سوى الأمل بأن يأتي من يعمل على تنفيذ القوانين والأنظمة الإجتماعية المرعية الإجراء وتطويرها.»

من مسيرتها الحافلة تذكّر كنعان الأخطار التي واجهتها وتقول: «أندكر خصوصاً الأخطار التي واجهتها أثناء الحرب الأهلية، وكان من نتائجها الحساسية الجذبية التي لازمتني لفترة طويلة. فقد صادفت أكثر من مرّة حواجز مسلحة أثناء تنقلي بداعي العمل بين ما كان يسمّى بالشرقية والغربية، وكثيراً ما كانت تنقلاتي هذه تتقاطع مع القصف وسقوط القنابل وإغلاق المعابر، وكنت أجو بأعجوبة.»

رغم كل شيء، لا تطالب كنعان أحداً بشيء، وتؤكد: «لا أطلب، ولم أطلب يوماً، الدولة اللبنانية بأيّ شكر أو تقدير، فإنّ كلّ ما قمت به أثناء حياتي الوظيفية فعلته لأرضي ضميري وطموحي.

ولكن ما أنتظره اليوم من الوطن هو ما ينتظره جميع اللبنانيين: التمكن من العيش بكرامة وأمان ومن التمتع بالحقوق البديهية، وذلك مع العلم بأنني لست من المؤمنين بأنّ الوطن يتغيّر لوحده، بل أرى أنّه على الشعب أن يحدث التغيير.»



### «الشؤون الإجتماعية»

عن أوضاع وزارة الشؤون الإجتماعية اليوم لا تقدّم كنعان أيّ تقييم وتكتفي بالقول: «أنا اليوم خارج الوزارة وبعيدة عنها، وبالتالي فأنا لا أعرف كيف تسير الأمور داخلها، ولا يمكنني إذاً، موضوعياً، تقييم عملها.»

اهتماماتها ونضالها من أجل الإنسان طال مختلف الجوانب والفئات والأعمار، من الطفل والمعوق إلى المرأة والأسرة... كانت سيّدة العمل الإجتماعي وربة منزل بامتياز، فكيف وازنت بين كل هذه النشاطات معاً؟ «كنت أوفق بين واجباتي كأم وربة منزل وواجباتي المهنية عن طريق تنظيم وقتي» - تقول - وتضيف: «وأيضاً بمساعدة شقيقتي وشقيقة زوجي، وهنا لا بدّ لي من التنويه بزوجي الذي لطالما كان داعمي الأول في كلّ ما تولّيته من مسؤوليات خاصة وعامة.»

### مع الناس وللناس

في عزّ الحرب كانت مع الناس وللناس، وكانت مرحلة النضال القاسي، وفي ما يسمّى ب«مرحلة السلم» كانت معهم أيضاً، وعن كليتي المرحلتين تقول: «لقد اختبرت وواجهت المرحلتين، ولكلّ منهما صعوباتها، فصعوبات مرحلة الحرب الأهلية معروفة، وقد عانى منها الجميع: الحواجز والقصف والخطف وإلى ما هنالك من عمليات الإجرام التي نهرب من تذكّرها، أمّا صعوبات مرحلة السلم في الوظيفة فهي من مخلّفات الحرب الأهلية، وما أفرزته هذه الحرب من آفات ومشاكل لا تزال نعاني منها حتى يومنا هذا.»

وعن دور الجمعيات الأهلية في لبنان تقول: «لا يمكننا وضع كلّ الجمعيات في خانة واحدة؛ فهناك جمعيات تؤديّ أعمالاً جيّدة على الصعيد



الوطني والإجتماعي وتحقّف أعباء كثيرة على الدولة. وهناك أخرى تقوم على صعيد منافع شخصيّة ومادّية. وعلى الدولة أن تضع حدّاً لهذه الفئة المتطوّلة على العمل الإجتماعي.

أما بالنسبة إلى حلول الجمعيات الأهلية محلّ الدولة فهذا ليس وارداً. ولا حتى مطلوباً. بعد أن أصبحت الدولة مختصّة بالشأن الإجتماعي. ما هو مفروض في هذا الصدد هو الشراكة الجديّة بين الدولة والجمعيات الفاعلة. بحيث يكون على الدولة الدعم والرقابة الحقيقيّة.

إيمان نعمت كنعان إيمان مميّز. بعيد عن الطقوس وقريب من الإنسان. على طريقة «خدمة الناس قِمة العبادة». ترى فعلاً صورة الله في الإنسان. وتقول: «إستمدت إيماني هذا من تربيتي: فأنا مؤمنة وإن كنت لا أمارس الطقوس الدينية التقليديّة. وقد يعزو البعض هذا النوع من الإيمان إلى ولادتي من أب مسلم وأم مسيحيّة. ولكن الحقيقة مختلفة تماماً. أنا أرى الله لا طائفي وهو في تصرّف الإنسان: فالإيمان الصحيح بعيد كلّ البعد عن الطقوس والشكليات. وهو بالنسبة إليّ يترجم بالأفعال على الأرض وفي حياتنا الخاصّة والعامة ومع الآخر كائناتاً من كان.»

ملهمها الأول شقيقها ومريضه، «شقيقي رشيد رحمه الله كان ملهمي الأساسيّ»- تقول- وتضيف: «هو كان مصاباً بمتلازمة «داون». وقد ساعدني وجوده في حياتي على الإكتشاف إلى أيّ مدى الأشخاص ذوي الإحتياجات الخاصّة في وطننا هذا هم مهمّشون وفي حاجة إلى رعاية.»

## المطلوب نظام مدنيّ

عن وضع المرأة في لبنان تقول: «لن تستعيد المرأة دورها ومكانتها الحقيقيّة والطبيعيّة في المجتمع إلاّ من خلال حقّق أمرين:

- إقرار نظام مدنيّ يقوم على مبادئ حقوق الإنسان ويؤمّن المساواة بين المرأة والرجل على جميع الأصعدة.
- إيمان المرأة بأنّها هي المسؤولّة عن تقدّمها. وأنّ نضالها هو الذي يحدث التغيير. فالنجاح الذي حقّقه كلّ امرأة هو الذي سيساهم في تحقيق المساواة بينها وبين الرجل. لا بل سيفرض هذه المساواة. في مختلف المستويات الإجتماعيّة والإداريّة والسياسيّة. وذلك كلّ على أساس الكفاءة فقط. ولا بدّ من التأكيد في هذا الإطار على دور المرأة «الأم» في تربية أولادها وفقاً للمبادئ السليمة. وكذلك على مسؤوليّة وزارة التربية والتعليم العالي وبصفة خاصّة المركز التربوي للبحوث والإيماء المعني بدراسة مناهج التعليم وتحديثها وتطويرها لكي تصبح المدرسة قادرة على تنشئة الأجيال القادمة بناءً على مفاهيم المساواة والعدالة وحقوق الإنسان. وتقدم تلك الأجيال بالتالي على تحقيق التغيير الفعليّ في مختلف هذه القضايا بعد الإقنتاع به.»

قناعاتها تعيشها وتطبّقها. مؤكدة: «في مسيرتي المهنيّة كنت جديّة وصلبة من دون أن أفقد أنوثتي. أمّا في حياتي الزوجيّة والعائليّة فقد تشاركت وزوجي بالتساوي. ولا أزال. المسؤوليات واتخاذ القرارات الجوهرية. كما ربّيت بناتي الثلاث على أفكار معيّنة عزّزت فيهنّ الثقة بالنفس والإحساس بالقوّة والإستقلاليّة.»

أهم هواياتها «الرياضة والقراءة والمسرح والسينما». أما السياسة فليس لها علاقة بها. «إنّما لديّ علاقة ببعض السياسيين الذين أنظر إليهم كأصدقاء» كما تشير. وتضيف: «لم أفكر بالنيابة على الإطلاق. ولكنني لا أخفي أنّي رغبت في تولّي منصب وزير الشؤون الإجتماعيّة. وذلك ليس حباً بالمنصب. ولكن لتحقيق المزيد من الأمور التي لم أستطع تحقيقها كمدير عام لهذه الوزارة.»

وفي السياسة أيضاً تقول نعمت كنعان: «مستقبل لبنان يرسمه أبنائه. وللأسف بالرغم من نجاح اللبنانيين كأفراد في لبنان وفي الخارج. هم يفشلون كمجموعة في بناء وطن. وقد يعود ذلك إلى كمّيّة خيبات الأمل بإحداث أيّ تغيير. لهذا السبب أنا لا أرى أملاً بمستقبل أفضل إلاّ في حال حدوث صدمة إيجابيّة تغيّر ذهنيّة الشعب اللبناني فتحتّه على البحث عن كيفية حلّ المشاكل التي يواجهها بدلاً من التعامل مع هذه المشاكل بالتنكيت والفكاهة.»

لا تندم على شيء في حياتها وتقول: «لم أعتد أيّ خيار في حياتي تسبّب لي بخيبة أمل كبيرة إلى درجة أنّني ندمت عليه. ولكن بالمقابل. وبعيداً عن الندم. إذا عاد الزمن بي إلى الوراء فلن أعرض حياتي للخطر في سبيل الوظيفة كما فعلت في السابق مراراً وتكراراً. وذلك لأنّه لو فارقت الحياة لكنت يتمت بناتي الثلاث اللواتي كنّ ولا يزالن في حاجة إليّ أكثر من الوطن.»

ولا تنسى نعمت كنعان بلباقتها المعهودة أن تشكر «الصحة والإنسان». منوّهة ب«الأسئلة غير التقليديّة التي طرحتها عليّ. والتي قد تسمح أجوبتي حولها بأن يتعرّف القارئ على جوانب من شخصيتي لم يصادف أن تمكّنت من إظهارها في مقابلات سابقة...»

لارا سعد مراد